# الموسيقى واللغة التعبيرية للجسد من إعداد الممثل إلى التأثيث الجمالي في العرض المسرحي

ذ. رضوان بديار
تحت إشراف: د. هشام بن الهاشمي
د. سعيد كريمي
كلية الآداب والفنون جامعة ابن طفيل، القنيطرة
المغرب

يقترن الحديث عن الموسيقى المسرحية باستحضار الفضاء الجمالي الذي يحيى فيه الممثل و الجمهور، وهو فضاء مزدوج(واقعي/خيالي)، باعتباره فضاء سوسيوثقافي وسيكولوجي له امتداداته في الزمان والمكان، وذلك لكون تعبيرات الممثل الجسدية واللغوية وتماهيها مع باقي مكونات العرض المسرحي وتأثيثاته تشكل علامات سيميائية يحتاج الجمهور لحظة تلقيها إلى فك شفراتها لخلق نوع من التوحد مع العرض المسرحي كونه " يشعر بالخبرة التي يتعرض لها، هي خبرة بديلة، إنها في الوقت نفسه خبرته لكنها ليست خبرته، خبرته الخاصة كمتلقي، لكنها خبرة شخص آخر يتعرض للألم أو يكون موضوعا للضحك، إن خبرته إذن ليست خبرته، وتجربته ليست تجربته، إنها بديل لخبرة الممثل أو الشخصية المسرحية، هذه الخبرة إذن خبرة بديلة، ولكن في الوقت نفسه لا يمكن إلا أن تكون خبرة مُشاركة يساهم فيها المتلقي الممثلين والمشاهدين الآخرين، ومن ثم تكون خبرة التلقي المحَققة للتوحد..." [1] بحيث ترتبط معرفة الممثل والمتلقي الفنية بكل حيثيات الفن"المسرحي" خصوصا وسائل التعبير الجسدي التي ينتجها النمط الثقافي، والتي يمتلكها الإنسان نفسه لتجسيد فكرة فنية ما، حركات جسده أو صوته...إذ نجد أول وسيلة لتعبير الإنسان عن دواخله هو جسده الذي يخضع الحركة إلى إيقاع كي تكون منظمة ومضبوطة " وبما أن الحركة هي نقلة لجسد الممثل أو أي جسم آخر على الركح من نقطة إلى أخرى، تخضع هذه النقلة لإيقاع يحدد سير التنقل في خطوات متعاقبة."[2]

فللإيقاع دور مهم في الموسيقى وفي جميع الفنون، فالموسيقى في المسرح تبدأ في الكلام، وتستمر في الحركة وفي الإيقاع، وفي نبر الصوت، وبهذا تشكل الموسيقى لب الرؤية المسرحية، والعرض المسرحي لا يمكن أن يكون عرضا إيقاعيا إذا لم يكن موسيقيا من خلال الكلام، الحركة، الإيقاع ، نبر الصوت، اللون ، الصمت، السكون، الإظلام، الإضاءة...إلى غير ذلك من المكونات الإيقاعية للعرض المسرحي، لأنه بدونها سيكون رديء، فإذا تصورنا أن الفن المسرحي لوحة فلكلورية مضبوطة في الزمان والمكان، والإيقاع والنغم، فإن الموسيقى هي آلة من آلات العرض المسرحي، فارتباط الموسيقى بجميع مكونات وأدوات العرض المعروفة يخلق تكاملا فنيا في العرض المسرحي، وعليه فإن الموسيقى هي جزء من كل لا يمكن أن تخلق الاستثارة الجمالية بمعزل عن العناصر المسرحية.

وللموسيقى دور مهم في حياتنا جميعا، فهي تقدم لنا المتعة والانتشاء الانفعالي، والإيهام والتخيل، وعندما تقوم الموسيقي بإشباع التوقعات التي أثيرت بداخلنا تتحقق المتعة الجمالية.

**-الموسيقى واللغة التعبيرية للجسد في إعداد الممثل:**

تعد الموسيقى من العناصر الرئيسية في المسرح، حيث تلعب دورًا هامًا في التعبير الجسدي وتعزيز العواطف والمشاعر التي يحاول الممثلون التوصل إليها، ويعود استخدام الموسيقى في المسرح إلى العصور القديمة، حيث كانت تُستخدم لتعزيز التعبير الجسدي وتوجيه إيماءات الممثلين وأدوارهم على المسرح: ما تعمل على تعزيز القواسم المشتركة والمشاعر الجماعية، وتنقل مشاعر وأفكار الشخصيات وتعين المشاهدين على فهم عمق الأحداث التي تجري على المسرح.

تؤثر الموسيقى على الجسم والحركة الجسدية للممثلين بشكل كبير، فهي تساعد على تحفيز الإيقاع وتوقيت الحركة وتعطي ديناميكية للأداء الجسدي، ويعتبر الإيقاع والتوقيت من العوامل الجوهرية في التعبير الجسدي، وهما يعطيان الحركة إيقاعًا وترتيبًا، مما يعزز قوة الأداء وكفاءته. وبالتالي، فإن الموسيقى تعمل على تحسين أداء الممثلين.

إن ملكة الإحساس لدى الممثل الفنان، ورهافتها، وشعوره الحي بنفسه وبالعالم من حوله إحدى الأدوات التي يستخدمها لتحقيق متعته الإبداعية، إذ تحتل الموسيقى موقع الوسيط بين الفنان "الممثل" والعمل الإبداعي المسرحي، فهي جوهره والسبب في خلق الانسجام بينهما، أي الوحدة بين الجسد واللغة التعبيرية التي يؤديها.

وتتمظهر هذه الوحدة في عملية إعداد الممثل كعملية أو كحركة، أي كعمل يجب في كل لحظة أن يكون حركة هادفة،" فإذا ما نظرنا إلى هذه الوحدة نظرة سكون في المكان، فهي نظام ومعيار، وكون، أما إذا نظرنا إليها في الزمان، كعملية، فإنها حركة انسجاميه أي إيقاع"[3]

إن حركات الجسد الإيقاعية هي ما يحدد لغته، باعتباره إشارة إلى شيء آخر غير ذاته، ولا تتلون وتبرز بشكل جيد لحظة اللقاء الحي مع الجمهور، إلا بالإعداد الجيد وسبر أغوار الممثل، وملامسة معالم الشخصية المراد تقمصها، وجعلها تطفو نحو الخارج ليتحقق بذلك الانصهار والتوحد بين "الأنا والهو" فهي عملية اكتشاف وتصالح، وتجسير، فجسد الممثل يشير إلى شخصية أو موقف، أو وضع اجتماعي أو حالة سيكولوجية معينة، بل قد يشير أحيانا إلى شيء مادي (كرسي، شجرة...) وبالتالي فعلى الممثل الحذق أن يكون قادرا على الإمساك بتلابيب الزمن الهارب وجعله طيعا، وقادرا على احتواء الحياة بكاملها خلال زمن العرض. "وفق شبكة منظمة من الحركات والأصوات والإيقاعات المتداخلة، التي تشكل في مجموعها إيقاع العرض العام، وإيقاع كل مشهد على حدة، وإيقاع الدور(الشخصية) ،وهو ما يستشعره المتلقي بصريا وسمعيا ومن ثمة وجدانيا وعقليا."[4] ولجعل الممثل يعيش حلما جسديا خاصة لحظة الإعداد للدور، وتجسيد الشخصية الجديدة الخارجة على أناه، كان لزاما على المعد البدني

والنفسي(المخرج) أن يخلق جسرا رفيعا بين اللحظة الواقعية و الخيالية، وجعله يتماها جزئيا أو كليا مع هذا المنطق السيكولوجي القائم على الموسيقى، فهي أداة أساسية في إعداد الممثل، وذات أبعاد دلالية متنوعة، لعل أولاها:

1- **البعد التنظيمي**: فهي كفيلة بأن تجعل الممثل يستجيب بكل يسر إلى تعليمات المخرج لحظة التدريبات، وفوق المنصة لحظة العرض "فالخلفية الموسيقية ضرورية للممثل لكي يتعود على الإنصات لحركة الزمن فوق الخشبة"[5]فمفهوم الإيقاع في العرض المسرحي هو واحد من القواعد الأساسية للمسرح عند ماي خولد، حيث نجده يستعمل مفهوم ضبط النفس في توصيف حالة الممثل فوق الخشبة، "ولذلك فإن تدريب الممثل على الإحساس بالإيقاع يماثل في أهميته تدريبه على التمثيل".[6]وهذا ما يجعل بيتر بروك يعتبر أن الممثل لابد أن تكون له خبرة محسوسة جدا بالأصوات وليس مفهوما نظريا عن الإيقاع في الدراما، فمن خلال الموسيقى يمكن للمخرج أن يضبط استجابات الممثل الانفعالية وتدريبه على الانتقال من انفعال إلى آخر بطريقة منتظمة، وهو ما يساعده مرة أخرى بتنظيم حركاته وتنقلاته فوق الخشبة خالقا بذلك إيقاعا خاصا للعرض المسرحي رفقة باقي الشخصيات والمكونات الأخرى.

2- **البعد الانفعالي**: تلعب الموسيقى دورا مهما في تدريب الممثلين على الإحساس بما يعتمل دواخلهم، حتى ولو كان الحدث الظاهري يناقض إحساس الشخصية الداخلي، فالوظيفة التي تؤديها الموسيقى في هذا النوع من التدريبات، هو إيصال الممثلين إلى الإحساس بمجموعة متناقضة من الانفعالات في وقت واحد، وضبط قدراتهم على أداء كل هذه الانفعالات المتناقضة في وقت واحد.

3- **البعد التعبيري**: فمن مجموع البعدين السابقين، وضبط آلياتهما، والقدرة على الاستجابة للألوان الموسيقية لحظة إعداد الممثل، يستطيع هذا الأخير أن ينتقل إلى مرحلة التعبير الجسدي رفقة الموسيقى المصاحبة، وبالتالي يكون المتلقي لحظة مشاهدة العرض المسرحي أمام حوارين متزامنين (حوار الجسد، وحوار الموسيقى) ومن خلالهما تتبدى علامات الموضوعة وتتآلف فيما بينها لتشكل مع باقي المكونات الأخرى وحدة عضوية قابلة للقراءة والتفسير. ومن مجموع اللغتين (لغة الجسد ولغة الموسيقى) يستطيع الممثل التعبير على الجوانب الأكثر حقيقة في ذاته، إذ يعتمد هذا التعبير الصادق عن مدى فاعلية الموسيقى المصاحبة والأثر الذي تحدثه في نفس المتلقي، وللتماهي الكلي مع الموسيقى والاستمتاع الكامل بها ومن خلالها، على المخرج في عملية إعداد الممثل أن يراعي الخلفية الاجتماعية والثقافية للممثل...

### –الوظائف الجمالية للموسيقى في العرض المسرحي.

يعتبر العرض المسرحي فناً متعدد الجوانب، حيث تتعاون عدة عناصر لتجسيد روح العمل ونقل المشاعر والرسالة المراد توصيلها إلى الجمهور. ومن بين هذه العناصر المهمة التي تؤثر بصورة كبيرة على جمالية العرض المسرحي، وتزيد

من تأثيره وفاعليته، هي الموسيقى. إن الموسيقى لها قدرة فريدة على تحويل الكلمات إلى أنغام وأصوات تعكس مشاعر ومعاني النص وتعمل على إيصالها إلى الجمهور بشكل أكثر قوة وعمق.

وتعتبر الموسيقى جزءًا لا يتجزأ من العرض المسرحي، حيث تؤثر في تأثيره الشامل على الجمهور. وتعمل على استحضار المشاعر وتعبيرها وتعزيزها، وتقوم بخلق الجو المناسب لكل مشهد ورسم لوحات عاطفية فنية تساعد في خلق تواصل عميق بين الأداء المسرحي والجمهور.

ومن أهم الأدوار التي تؤديها الموسيقى في العرض المسرحي:

أولا: إسهامها في تحقيق وحدة فنية للعرض المسرحي، من خلال إطلاق أنغام مسبقة تعكس طابع العمل وتفتح الأبواب أمام الجمهور لاستقبال ما سيتم تقديمه. فعندما يتم تشغيل الموسيقى في بداية العرض، يبدأ الجمهور في الاستعداد العاطفي والذهني لما سيتابعه، كما يمكن استخدام الموسيقى كتصميم لفكرة عمل محددة، حيث يتم اختيار نوع وأسلوب الموسيقى وفقًا للحقبة التاريخية أو المكان أو السياق الثقافي للعمل.

ثانياً، تؤثر الموسيقى في التوقيت والإيقاع في العرض المسرحي، حيث تعمل على تحديد السرعة والتوقيت الصحيح للحركة والحوارات والأحداث، ويتم تعيين وتنظيم الإيقاع الموسيقي بدقة لينسجم مع الإيقاع الحركي والتقني للأداء المسرحي، ويمكن أن يكون للموسيقى تأثير كبير على مدى التركيز والتشويق التي يشعر بها الجمهور، حيث يمكنها أن تزيد من التوتر في مشهد مثير أو تعطي أجواء مفرحة وسعيدة في مشهد فكاهي.

ثالثاً: تعزز الموسيقى التعابير الصوتية والحوارية في العرض المسرحي فهي بمثابة الرمز الصوتي للعمل، حيث تقدم المعاني والمشاعر التي يصعب التعبير عنها بالكلمات وتحولها إلى لغة عالمية تفهمها الجماهير بسهولة، ويتم توزيع الموسيقى بشكل استراتيجي في جميع أنحاء العرض لتوجيه مشاعر الشخصيات وتعزيز رسالة القصة.

رابعاً: تعمل الموسيقى على ربط المشاهد والمشاهدات المختلفة في العرض المسرحي، يمكن استخدامها لإنشاء موضوع موسيقي متكرر يربط بين المشاهد ويعمل كخيط موحد للأحداث المتتالية، مساهمة في إضفاء الروح والتسلسل على العرض وتوفير التواصل المستمر بين كل المشاهد المختلفة، إذ يشعر الجمهور بأن العمل متصل ومتماسك وأن هناك تسلسل وتدافع للأحداث.

إن الموسيقى التي يتم وضعها أو تصميمها للعرض المسرحي لا تتم اعتباطا، لسد نقص أو فراغ في الإخراج، بل على العكس من ذلك، فالموسيقى تشكل جزء مهما من الفعل المسرحي مثلها مثل أهمية الممثل والإضاءة والديكور وغيرها من المستلزمات الهامة في إنجاز العرض المسرحي، فإذا أسيء استعمالها فيه تؤدي إلى خلل كبير يفقد لحظة الانتشاء عند المتلقي حلاوتها وطلاوتها، ويختل الإيقاع العام للعرض، ويحول دون حصول التوحد الأفقي بين الممثل والمشاهد من جهة، وبين المشاهد وفضاء العرض المسرحي (الواقعي/ الخيالي) من جهة أخرى.

فالموسيقى كيانا كاملا من الأحاسيس والمعاني التي تساعد في توصيل الأفكار والمعاني إلى المشاهد، فهي وجهة نظر مهمة (رؤية المخرج، وموقف الممثل في العرض) كما أنها تفكير الشخصية بصوت مرتفع، يمكن للمتلقي إدراكه وفهمه.

وتتجلى أهميتها في كونها تكملة للعرض المسرحي، مادامت مرتبطة بجميع مكوناته، وعليه فهي تؤدي إلى جانب العناصر الأخرى التكامل الفني في العرض المسرحي، وبالتالي فإن عملية التوظيف الفني للموسيقى في العروض المسرحية يفرض على المخرج أن يحسن اختيار الموسيقى التي تستميل الجمهور نحو التفاعل الإيجابي مع المواقف والمشاهد المسرحية، ويتعاطف إيجابا أو سلبا مع شخصيات العرض المسرحي، وألا يبالغ في استخدامها، إذ عليه أن يمتلك حسا ذوقيا جماليا في عملية اختيار وتصميم الموسيقى، فمفتاح نجاح العمل بيده، كما أن نجاح استخدام الموسيقى في العروض المسرحية ينجم من درايتين وهما: الدراية بفن المسرح، والدراية بفن الموسيقى، وحينما يتوفران عند المخرج بوصفه قائد العرض، من شأنهما أن يعيناه في التقاط الدور التوظيفي للموسيقى، والذي يتنوع بحسب المشاهد والمواقف، فمن بين الوظائف الجمالية التي تؤديها الموسيقى في العروض المسرحية هناك:

- ✓ **وظيفة الاستمتاع الجمالي**: تعتبر الخبرة الجمالية المصاحبة للموسيقى من أعمق الخبرات الجمالية الإنسانية، فكلما كان توظيف الموسيقى المسرحية متماهيا ومتناغما مع طبائع الشخصيات، وطبيعة المشاهد والحالات النفسية، كلما تحققت الوظيفة الجمالية والاستثارة الفنية لذا المتلقي.
- ✓ **الوظيفة التعبيرية والانفعالية**: فالموسيقى في العرض المسرحي تعبر عن انفعالات وأحاسيس ومواقف الشخصيات، كما تعبر أيضا عن بعض التعليمات والتحذيرات الثقافية لتأكيد معايير اجتماعية معينة.
- ✓ **الوظيفة التأثيرية**: بحيث تعمل الموسيقى المسرحية على التأثير في المتلقي وشد انتباهه نحو موضوع العرض، وخلق نوع من التعاطف اللحظي مع بعض الشخصيات، ورفض مواقف شخصيات أخرى...

إن المعرفة الفنية المسرحية "الرؤية الإخراجية" هي معرفة كلية لمكونات العرض المسرحي، وضبط تام لإيقاع العرض من بدايته إلى نهايته، وهو ما يمنح الجسد المسرحي حياته فوق الخشبة، إذ من مجموع أصوات الممثلين، والضرب على الجسد، والتصفيق، وحركة الأشياء، والأضواء... تتشكل موسيقى العرض المسرحي، هذا الالتصاق الوثيق بين فني المسرح والموسيقى – إن على مستوى التشكيل الإيقاعي، أو التأثيث الجمالي، أو التوظيف الدلالي– هو ما يجعلهما متجانسين في بنية فضاء العرض المسرحي بغية اكتمال المعنى، والوصول إلى درجة التوحد بين العرض والمتلقي.

ختاما لا يمكن إهمال أهمية دور الموسيقى في تأثيث العرض المسرحي جمالياً. إنها تعزز الجمالية والتأثير الفني وتساهم في إيصال المعنى العميق للعمل إلى الجمهور. لذا، فإن اختيار الموسيقى المناسبة واستخدامها بشكل فني ومتقن يعتبر أمراً بالغ الأهمية لتحقيق نجاح العرض المسرحي وإبهار الجمهور.

## الهوامش:

[1] د.صالح سعيد: الأنا...الآخر. ازدواجية الفن التمثيلي/ عالم المعرفة. ع 274 مطابع السياسة الكويت، أكتوبر، ص11.

[2] أحمد أمل: نظرية فن الإخراج المسرحي/ دراسة في إشكالية المفهوم، ج، الأول–ط، الأولى، مطبعة دار النشر المغربية 2009، ص: 153

[3] الوعي والفن: دراسات في تاريخ الصورة الفنية/ عالم المعرفة ، ع 146 تأليف غيورغي فاتش، ترجمة: د.نوفل نيوف ،يناير 1978 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت ص49.

[4] الأنا – الآخر: ازدواجية الفن التمثيلي، مرجع سابق / ص 137.

[5] نفسه: ص 173.

[6] تجارب جديدة في الفن المسرحي: د.سمير سرحان/ المركز العربي للثقافة والعلوم بيروت لبنان، ص83.